

مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصرين الراشدي والأموي

أ.م.د عبد الجبار محسن السامرائي

قسم التاريخ . كلية التربية / سامراء . جامعة تكريت

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد .

تعد المياه ومشاريع الري المختلفة ، أهم عوامل قيام الحياة الزراعية في العراق على امتداد عصوره التاريخية ، فالماء هو أساس الحياة ، قال ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾⁽¹⁾.

تنوعت وسائل الري في العراق تبعاً للاختلاف في التضاريس والمناخ وكمية الأمطار الساقطة ، إلا أن مياه الأنهار الدائمة الجريان ، تعد الوسيلة الرئيسة للري فيه ، إذ إنه يعتمد بالدرجة الأولى على مياه نهري دجلة والفرات وروافدهما ، اللذين يجريان في أراضٍ متموجة في الشمال ومنبسطة في الوسط وأكثر انبساطاً في الجنوب .

أوجب انبساط أراضي وسط العراق وجنوبيه ، ورخاوة تربتها ، وخطورة الفيضانات فيها ، فضلاً عن ظروف استقرارها سياسياً وعسكرياً ، ورغبة المسؤولين في الدولة على تطوير الحياة الاقتصادية فيه ، بذل أقصى الجهود من أجل إقامة مشاريع الري المختلفة ، متمثلة في حفر الأنهار ، والجداول ، والترع ، والآبار ، والعيون ، والصحاريح ، وبناء السدود والقناطر والخزانات ، وتجفيف البطائح . كل هذا يفسر لنا كثرة أعداد الأنهار في وسط العراق جنوبيه في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية .

شكلت مشاريع الري الأساس الذي اعتمدت عليه الدولة العباسية فيما بعد ، من أجل إقامة نظام ري متكامل في العراق ، كان له أكبر الأثر في ازدهار الحياة الاقتصادية واستقرارها .

ونود أن نشير إلى أن مدار البحث من الناحية الجغرافية ، يتناول أرض العراق وحدوده ، في صورة أقرب ما تكون لحدوده في الوقت الحاضر ، وعلى أساس التسلسل التاريخي وذلك في مبحثين ، عالج الأول منهما : مشاريع الري في العصر الراشدي ، أما الثاني فقد تناول هذه المشاريع إبان العصر الأموي .

المبحث الأول

مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصر الراشدي

أولاً: في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

تعرض العراق إلى فيضان هائل لنهري دجلة والفرات ، وذلك في سنة ٦ هـ أو ٧ هـ / ٦٢٨ م أو ٦٢٩ م ، مما نتج عنه آثار سلبية واسعة النطاق متمثلة في : انهيار السدود ومشاريع الري ، وتحويل الأنهار عن مجاريها ، وتوسيع مساحة البطائح⁽²⁾ وازدياد مساحة الأراضي الموات⁽³⁾ .

وبعد ذلك بدأت عمليات تحرير العراق من السيطرة الفارسية ((... ثم دخلت العرب أرض العراق وشغلت الأعاجم بالحروب ، فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليها ، فاتسعت البطيحة وعظمت))⁽⁴⁾ . وأدى انشغال الفرس بمقاتلة العرب المسلمين إلى تدمير نظم الري ، وتخريب اقتصاد العراق وانحلال النظام الإقطاعي فيه ، إلا أنه وبعد استقرار الأوضاع سرعان ما استجاب المسؤولون لهذا الواقع الجديد ، مدركين الحاجة الماسة لإصلاح مشاريع الري القديمة وإقامة مشاريع جديدة ، مثل : حفر الأنهار ، والجداول ، والقنوات وإقامة الجسور والسدود والخزانات والمسنيات⁽⁵⁾ وتخفيف البطائح .

أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهمية المياه والري في العراق ، لذلك كان هذا العامل إحدى الحجج التي احتج الخليفة بها من أجل عدم تقسيم أرض العراق على المقاتلين باعتبارها غنيمة ، إذ كان يخشى التنافس والصراع بين المسلمين على هذه المياه فخطبهم قائلاً : ((فأخاف أن تنفاسدوا بينكم في المياه ، وأخاف أن تقتتلوا))⁽⁶⁾ ، ومن هذا المنطلق قام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوضع قواعد لتنظيم الري في أنحاء العراق ، فجعلها مشاعة للجميع ، إذ قال : ((والمسلمون جميعاً شركاء في دجلة والفرات وكل نهر عظيم نحوهما ، لا يحبس الماء عن أحد دون أحد))⁽⁷⁾ .

ومن أجل تنظيم عملية الزراعة والري ووضع الخراج ، أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بمسح شامل لأرض العراق⁽⁸⁾ ، فكشفت عمليات المسح هذه عن سعة الأراضي الزراعية المعطلة عن الاستثمار ، ((كثرة العامر الذي لا يعمل ، وقلة العامر الذي يعمل))⁽⁹⁾ ، وعن مشاريع الري الصالحة والمندرسة ، ومدى الحاجة إلى إعادة تأهيلها ، فضلاً عن إقامة مشاريع جديدة .

ومن أولى ثمار هذا المسح ما عُرف بقناطر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه⁽¹⁰⁾ ، ((وقناطر حذيفة نسبت إليه ، وذلك أنه نزل عندها ويقال : حدها))⁽¹¹⁾ . ولم توضح لنا المصادر هل

أن حذيفة رضي الله عنه هو الذي أنشأها أم أنها موجودة سابقاً ، وعلى أقل تقدير فإن حذيفة رضي الله عنه قد عمل على ترميمها وإصلاحها وإعادة الحياة إليها .

وفي إقليم الأحواز الذي كان يتبع إدارة البصرة ، قام جزء بن معاوية التميمي ⁽¹²⁾ ، باستئذان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بحفر الأنهار واستثمار الأرض ، ((فأذن له فشق الأنهار وعمّر الموات)) ⁽¹³⁾ . فسمي أحد هذه الأنهار بـ (نهر جزء) ، تيمناً بهذا القائد العربي المسلم .

ومن الجدير بالذكر أن مدينة البصرة تميزت بعدة مميزات جعلتها ميداناً واسعاً لإقامة الكثير من مشاريع الري ، ولاسيما حفر الأنهار ، فهي أول مدينة عربية إسلامية تقام خارج شبه الجزيرة العربية ، ولم يكن فيها نهر جارٍ حتى ذلك الوقت ⁽¹⁴⁾ ، وفي منطقتها يلتقي نهر دجلة والفرات مكونين دجلة العوراء ⁽¹⁵⁾ (شط العرب) ، فضلاً عن وجود أراضٍ واسعة من الموات (السباح) ⁽¹⁶⁾ ، وقربها من البطائح ، وارتباط نظام الري فيها بظاهرة المد والجزر ⁽¹⁷⁾ ، ثم رخاوة أرضها وانبساطها وقلة انحدارها ، وهذا ما يفسر ، لماذا شهدت منطقة البصرة حركة استصلاح واسعة النطاق للأراضي الموات منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نهاية الدولة الأموية ؟ تمثلت بإقامة الكثير من مشاريع الري ، وتجفيف البطائح وكسح السباح .

ومن أوائل هذه المشاريع في منطقة البصرة ما عُرف بحفر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، إذ حفرت عدة آبار على طريق البصرة - مكة المكرمة ، إذ ((إن أبا موسى الأشعري لما قدم البصرة فعطش الناس في طريقهم ، فأمر ببئر فاحتقرت فانبسطت عذبة ، ثم حُفرت بعد ذلك عدة آبار ذات مياه عذبة)) ⁽¹⁸⁾ .

وبالتأكيد فإن هذه الآبار قد استفاد الناس منها في شربهم وسقي حيواناتهم ، وربما زراعة بعض المحاصيل عليها ، مما أدى إلى استقرار الناس وتعمير هذا الطريق وتأمين قوافله .

وقام الوالي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بحفر نهر (الأبله) وإيصاله إلى مدينة البصرة . وتقع فوهة هذا النهر عند مدينة الأبله ، لذلك نُسب هذا النهر إليها ⁽¹⁹⁾ . وكان سبب حفر هذا النهر استجابة لشكوى أهل البصرة حينما التقوا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان فيهم الأحنف بن قيس ⁽²⁰⁾ ، الذي خاطب الخليفة قائلاً : ((وإنا نزلنا سبخة بشاشة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها ، فليس لنا زرع وضرع ، فالأ ترفع خسيستنا وتجبر فاقنتنا نكن كقوم هلكوا ، وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يأمره أن يحتفر لهم نهراً)) ⁽²¹⁾ . ويفصل لنا البلاذري حفر هذا النهر بقوله : ((كان لدجلة العوراء ، وهي دجلة البصرة خور ، والخور

طريق للماء لم يحفره أحد ، وكان طوله قدر فرسخ⁽²²⁾ ، وكان لحدده مما يلي البصرة غوره واسعة تسمى الاجانة ، وسمته العرب في الإسلام الجزارة ، وهو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة ... ، فلما أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبو موسى الأشعري أن يحفر لأهل البصرة نهراً ، ابتداءً الحفر من الاجانة ، وقاده ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة ، فصار طول نهر الأبله أربعة فراسخ ، ثم انظم منه ما بين البصرة وبتق الحيري⁽²³⁾ ، وذلك على قدر فرسخ من البصرة⁽²⁴⁾ .

وكان من نتائج حفر هذا النهر أن استصلحت الأراضي الزراعية المجاورة له واستثمرت واستقر الناس فيها ، حتى أصبحت أهلة بالسكان لزمان طويل لاحق ، لذلك وصفها ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٩ م) بقوله : ((وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة ، كأنها بستان واحد فيها الأشجار المثمرة والفواكه اللذيذة والرياحين الغضة ... ويتشعب فوق البصرة ومن تحتها أنهار كثيرة ، وهذه كلها متخرقة بعضها إلى بعض))⁽²⁵⁾ . لذلك فلا غرابة أن تُعد هذه المنطقة إحدى متنزهات الدنيا⁽²⁶⁾ .

وحفر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه نهراً مهماً آخر ، وهو نهر معقل ، فيقول البلاذري⁽²⁷⁾ : ((إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أبو موسى الأشعري أن يحفر النهر الآخر ، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني⁽²⁸⁾ فنسب إليه)) ، أما أبو الفدا فيذكر أن الأحنف بن قيس ، كَلَّم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحفر نهراً لأهل البصرة ، فأوكل هذه المهمة إلى الصحابي معقل بن يسار المزني رضي الله عنه فنسب النهر إليه⁽²⁹⁾ ، وأدى هذا النهر كذلك إلى تعمير هذه المنطقة ، إذ صار على ضفافه ((أبنية ومساكن وقصور مشيدة وبساتين واسعة غزيرة وكبيرة وعظيمة))⁽³⁰⁾ ، والراجح أن فوهة هذا النهر عند المعقل الحالية⁽³¹⁾ .

شكل هذان النهران نظام ري متكامل وواسع لمنطقة البصرة ، إذ إن نهر الأبله يجري مغرباً ثم ينعطف شمالاً كالفوس حتى يلتقي بنهر معقل عند البصرة ، مكوناً نصف دائرة ، ودجلة العوراء بمنزلة الوتر⁽³²⁾ ، وكانت عملية الري هذه تتم بواسطة ظاهرة المد والجزر ((... حتى إذا جاءهم مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع أنهارهم من غير تكليف ، وإذا جزر الماء عنها وانحط خلت منه البساتين والنخيل))⁽³³⁾ ، وبذلك أمكن ري الأراضي الزراعية الواسعة المحيطة بهذين النهرين وسقيها ، والمسماة (الجزيرة العظيمة) ، فزرعت بأنواع البساتين والأشجار والخضراوات ، ولاسيما أشجار النخيل⁽³⁴⁾ .

وفي منطقة الكوفة قام الوالي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بحفر نهر لأهل الأنبار ، إذ ((إن دهاقين الأنبار سألوا سعد بن أبي وقاص أن يحفر لهم نهراً كانوا قد سألوا عظيم الفرس

حفره لهم ، فكتب إلى سعد بن عمرو بن حرام⁽³⁵⁾ يأمره بحفره لهم فجمع الرجال لذلك فحفروه حتى انتهوا إلى جبل⁽³⁶⁾ لم يمكنه شقه فتركوه⁽³⁷⁾ ، وذلك لصعوبة حفره ، لكون أرضه صخرية ، فضلاً عن تكاليفه الطائلة .

وأعيد في هذه الحقبة إعمار جسر الكوفة في منطقة الحيرة ، ((فأمر أبو عبيد بالجسر فعقد وأعانه على عقده أهل باتقيا⁽³⁸⁾ ، ويقال : إن ذلك الجسر كان قديماً لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد ، وذلك أنه كان معتلاً مقطوعاً))⁽³⁹⁾ .

ثانياً : في عهد الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب

استمرت عناية الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٣ - ٦٥٥ م) وولاته الكبيرة بعمليات إنشاء مشاريع الري في العراق ، ولاسيما في منطقة البصرة والكوفة ، فأبدى أهل العراق نشاطاً ملحوظاً في ذلك ، ولقوا رعاية الخليفة وولاته وتشجيعهما .

ففي منطقة البصرة قام زياد بن أبي سفيان ، بإصلاح نهر الأبله سنة (٣٠ هـ - ٦٥٠ م)⁽⁴⁰⁾ ، وذلك بإعادة ما انطم من هذا النهر ، وأورد البلاذري⁽⁴¹⁾ ذلك بقوله : ((وكان زياد بن أبي سفيان والياً على الديوان وبيت المال من قبل عبد الله بن عامر بن كرز ، وعبد الله يومئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأشار على ابن عامر أن ينفذ حفر نهر الأبله من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة ، وكان يريث ذلك ويدافع به ، فلما شخص ابن عامر إلى خراسان واستخلف زياداً أقر حفر أبي موسى الأشعري على حاله ، وحفر النهر من حيث انطم حتى بلغ به البصرة ، وولى ذلك عبد الرحمن بن أبي بكر⁽⁴²⁾ ، ...وقدم ابن عامر من خراسان فغضب على زياد وقال : إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دوني ، فتباعد ما بينهما حتى ماتا)) ، وكان طول هذا الجزء الذي انطم فرسخاً واحداً ، وهو بين البصرة وبتق الحيري⁽⁴³⁾ .

وفي سنة (٣١ هـ - ٦٥١ م)⁽⁴⁴⁾ ، قام زياد بن أبي سفيان بحفر فيض البصرة ، وذلك بعد أن فرغ من إصلاح نهر الأبله ، فلامه عبد الله بن عامر على ذلك حين قدم من خراسان⁽⁴⁵⁾ .

كانت لعبد الله بن عامر⁽⁴⁶⁾ جهود وإنجازات متميزة بالمياه ومشاريع الري ، ولاسيما في البصرة إبان ولايته عليها⁽⁴⁷⁾ ، فتم حفر العديد من الأنهار في منطقة البصرة ، منها نهر ابن عمير ، إذ أقطع عبد الله بن عامر ، عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك وهو أخوه لأمه ، ثمانية آلاف جريب⁽⁴⁸⁾ ، فحفر لها هذا النهر ، واستصلح بواسطته مساحات مهمة من أرض منطقة البصرة⁽⁴⁹⁾ ، وحفر عبد الله بن عامر نهر أم عبد الله ، دجاجه الذي تولاه غيلان بن

خرشة الضبي⁽⁵⁰⁾ ، وتم حفر نهر الأساورة سنة (٣١ هـ / ٦٥١ م) ، إذ يبدأ من دار فيل ويمتد مسافة طويلة إلى الجنوب الغربي من مدينة البصرة⁽⁵¹⁾ .

وكانت لهذه الأنهار آثار اقتصادية وإنسانية كبيرة لأهل البصرة ، فأورد ابن قتيبة عن نهر أم عبد الله قول أحد وجهاء البصرة لعبد الله بن عامر ((لم أرَ أعظم بركة من هذا النهر يستقي منه الضعفاء من أبواب دورهم ويأتيهم منافعهم منه إلى منازلهم ، وهو مغيض لمياههم))⁽⁵²⁾ . وكذلك حفر عبد الله بن عامر نهر (نافذ) ، وسمي بهذا الاسم لأن مولاه (نافذ) تولى حفره له⁽⁵³⁾ ، وحفر نهر (مرة) ، ومرة مولى أبي بكر الصديق ﷺ فغلب على ذكره⁽⁵⁴⁾ ، وتم في عهده حفر نهر (حميدة) ، المنسوب إلى امرأة أخيه عبد العزيز بن عامر⁽⁵⁵⁾ .

ويبدو أن هذه الأنهار الأخيرة هي من الأنهار الصغيرة التي تتركز غربي دجلة العوراء ، إذ تأخذ مياهها من نهري الأبله ومعقل ، وقد حفرت في قطائع خاصة منحها الخلفاء أو الولاة لعدد من المتنفذين من أهل البصرة ، فحفرت بجهود شخصية تمكن أصحابها من إعادة الحياة لها واستثمارها .

ولم تقتصر جهود والي البصرة عبد الله بن عامر على حفر الأنهار فحسب ، بل امتدت لتشمل حفر الآبار والعيون ، ولاسيما على الطريق الذي يصل البصرة بمكة والمدينة ، بهدف تأمين سير قوافل الحجاج وتعمير هذا الطريق ، فعرف هذا المشروع بـ (النجاج) ، إذ عُرسَ بأنواع النخيل ، فيقول ياقوت⁽⁵⁶⁾ : إن ((ابن عامر... فتق بها عيوناً وغرس نخلاً)) . وكان هذا النجاج أول الأمر لبني عبيس حتى قام عبد الله بن عامر بحفر آباره واستنباطها وزراعة أراضيها بالنخيل حتى عُمِّرت ، فصارت لعبد الله بن عامر ورهطه ، وحين توسعت أراضيها المستثمرة سمي بـ (نجاج بني عامر)⁽⁵⁷⁾ ، وصارت منطقة معروفة وذات أهمية ، بدليل أن المؤرخين والجغرافيين القدماء حددوا وعينوا مكانه ومواقع الأماكن الأخرى بالنسبة إليه ، إذ أصبح محطة لقوافل الحجاج العراقيين من أهل البصرة خاصة⁽⁵⁸⁾ ، وهو لا يزال موجوداً في الوقت الحاضر ويعرف بالأسياح⁽⁵⁹⁾ .

وكان عبد الله بن عامر معتنياً وشغوفاً بمشاريع الري واستنباط المياه ، إذ يقول : ((لو تركت لخرجت المرأة في حداجتها على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توفي مكة))⁽⁶⁰⁾ .

وفي منطقة الكوفة قام عامل الخراج للخليفة عثمان بن عفان ﷺ جابر بن عمرو المزني ببناء قنطرة على نهر الفرات قرب الكوفة⁽⁶¹⁾ .

ولعل اضطراب أحوال العراق في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام (٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦٠ م) لم تسعفه في إقامة مشاريع ري مهمة ، لذلك لم تمدنا المصادر إلا بمعلومات شحيحة في هذا المجال ، لذلك برزت جهوده عليه السلام في هذا المجال من خلال تشجيعه لعماله في العمل على حفر الأنهار والجداول واستصلاح الأراضي الموات وتفقد أحوال الفلاحين وتأمين احتياجاتهم ، فقد كتب الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى قرظة بن كعب الأنصاري عامله على الكوفة⁽⁶²⁾ يحثه على حفر الأنهار وإدامتها ومعاونة أصحاب الأرض ، سواء كانوا مسلمين أم ذميين ، قائلاً له : ((أما بعد : فإن رجالاً من أهل الذمة من عمك ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا ودفن ، وفيه لهم عمارة على المسلمين ، فانظر أنت وهم ثم أعمر وأصلح النهر ، فلعمري لأن يعمرها أحب إلينا من أن يخربوا))⁽⁶³⁾ . وكان يشجع على حفر الأنهار واستثمار الأرض ، فقد روي أن رجلاً جاءه وقال له : ((أتيت أرضاً قد خربت وعجز عنها أهلها فكريت أنهاراً وزرعتها ، قال : كل هنيئاً وأنت مصلح غير مفسد ومعمّر غير مخرب))⁽⁶⁴⁾ .

وبذلك تضافرت سياسة الخلفاء الراشدين وولاتهم مع جهود سكان العراق ، وأثمرت عن حركة نشطة نتج عنها إقامة الكثير من مشاريع الري المختلفة ، أدت إلى توسيع رقعة الأراضي الزراعية المستثمرة ، وزيادة واردات بيت المال ، وارتفاع المستوى المعاشي للسكان ، وبالمقابل ازدهار الحياة الاقتصادية في العراق ، ونتج عن هذه الحركة أن صار لأهل العراق خبرة ومعرفة واسعة في مجال الري والمياه ، نقلوها إلى كل الأصقاع التي حرروها ، فعمروا الأرض مثلما عمروا الإنسان ، وأدوا رسالتهم الشاملة على أحسن وجه .

المبحث الثاني

مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصر الأموي

أولاً: في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان

طور الأمويون ما ورثوه من مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصر الراشدي ، وزادوا إليها مشاريع كثيرة ومتنوعة شملت أكثر أرض العراق ، وتمثلت بحفر الأنهار وشق الترع والجداول وإقامة السدود والمسنيات وبناء الجسور والقناطر ، وحفر الآبار والصهاريج .

ومن الجدير بالذكر أن منطقة البصرة ، ولاسيما الأراضي التي تقع في الجانب الغربي من دجلة العوراء (شط العرب) ، قد شهدت حركة واسعة جداً لإقامة مشاريع الري،

ولا سيما حفر الأنهار ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وإيان ولاية زياد بن أبي سفيان للبصرة .

أنجز زياد بن أبي سفيان حفر الكثير من الأنهار في البصرة ، فقد نسب إليه البلاذري في إحدى رواياته ، حفر نهر معقل ، إذ يقول : ((كَلَّمَ المنذر بن الجارود العبدى⁽⁶⁵⁾ ، معاوية بن أبي سفيان في حفر نهر ... فكتب إلى زياد فحفر نهر معقل))⁽⁶⁶⁾. أي : إن هذا النهر نسب إلى الصحابي معقل بن يسار، الذي أشرف عليه على الرغم من أنه حفر بأمر من زياد⁽⁶⁷⁾ .

وكان هذا النهر غزير المياه ، على الرغم من كثرة الأنهار التي كانت تأخذ منه ، لذلك أصبح هذا النهر المسلك الرئيس لتجارة البصرة من أنحاء العراق والأحواز⁽⁶⁸⁾ .

وقام زياد بن أبي سفيان بحفر نهر (دبب) ، المنسوب إلى رجل اسمه دبب ، وهو مولى لزياد ، ((.... وكان زياد لما بلغ بنهر معقل قبته التي يعرض فيها الجند ، ردّه إلى مستقبل الجنوب فسمي ذلك العطف نهر دبب))⁽⁶⁹⁾ ، أي : إن نهر دبب هذا قد ربط بين نهر الأبله ومعقل⁽⁷⁰⁾ ، مما شكّل نظام ريّ متكاملٍ ومنتظم .

وكذلك فقد قام زياد بحفر عدة أنهار في المنطقة المسماة بالجزيرة (التي تقع بين نهري معقل والأبله) ، إذ يوضح ذلك البلاذري⁽⁷¹⁾ بقوله : ((كانت الجزيرة بين النهريين سبخة ، فأقطعها معاوية بعض أخوته ، فلما قدم الفتى ينظر إليها ، أمر زياد بالماء فأرسل فيها ، فقال الفتى : إنما أقطعني أمير المؤمنين بطيحة لا حاجة لي فيها ، فابتاعها زياد منه بمائتي ألف درهم ، وحفر أنهارها وأقطع منها روادان لرواد بن أبي بكره)) .

وعلى مستوى الأنهار الصغيرة ، قام الكثير من الأشخاص في البصرة ، في ولاية زياد بن أبي سفيان لها ، بحفر الكثير من هذه الأنهار ، وهم من موالى زياد أو أحد أفراد عائلته ، فقاموا بحفرها في قطائع أقطعت لهم ، فنسبت هذه الأنهار إليهم ، منها : نهر البنات المنسوب إلى بنات زياد ، إذ أقطع كل واحدة منهن (ستين) جريباً⁽⁷²⁾ ، من دون أن تحدد لنا المصادر أعداد بنات زياد ، ونهر أم حبيب ، نسبة إلى أم حبيب بنت زياد⁽⁷³⁾ ، الذي يمتد من جنوب مدينة البصرة إلى الغرب من نهر شيطان⁽⁷⁴⁾ ، ونهر عمرو بن عتبة بن أبي سفيان⁽⁷⁵⁾ ، ونهر حرب ، نسبة إلى حرب بن سلم بن زياد⁽⁷⁶⁾ ، وكانت عليه قنطرة⁽⁷⁷⁾ ، ونهر أبي شداد مولى زياد⁽⁷⁸⁾ ، ونهر جعفر ، وهو جعفر مولى سلم بن زياد⁽⁷⁹⁾ ، ونهر مُرّة المنسوب إلى مُرّة بن أبي عثمان ، إذ أقطعه زياد (مائة) جريب على نهر الأبله ، فحفر هذا النهر فنسب إليه⁽⁸⁰⁾ ، ونهر شيطان ، وينسب إلى مولى لزياد⁽⁸¹⁾ ، وبتق سيّار لأحد موالى زياد⁽⁸²⁾ ، وحفر آل أبي بكره أنهاراً صغيرة في قطائع أقطعها لهم زياد ، منها : نهر أبي بردعة⁽⁸³⁾ ،

ونهر سلم بن عبد الله بن أبي بكر⁽⁸⁴⁾ ، وسويدان قطيعة لعبيد الله بن أبي بكر ، ومساحتها أربعمائة جريب⁽⁸⁵⁾ ، وأسلمان لأسلم بن زياد⁽⁸⁶⁾ .

وينفرد ابن الفقيه بالقول : إن مسناة مصعب بن الزبير ، كان قد بناها زياد بن أبي سفيان ، إلا أنها نسبت فيما بعد إلى مصعب بن الزبير⁽⁸⁷⁾ .

أما على نهر الفرات فقد قام زياد بن أبي سفيان ببناء قنطرة الكوفة ، وهو أول من بناها في الإسلام ، إذ يؤكد ذلك البلاذري⁽⁸⁸⁾ بقوله : ((كان أول من بناها رجل من العباد⁽⁸⁹⁾ ... ثم سقطت ، فاتخذ في موضعها جسراً ثم بناها في الإسلام زياد بن أبي سفيان)) . ولا بد أن هذه القنطرة أسهمت في تنظيم عملية ري الأراضي الزراعية المجاورة ، والتخفيف من خطر الفيضانات ، والتقليل من توسع أراضي البطائح .

وقام زياد كذلك بإعادة حفر نهر شيلي وتأهيله في منطقة الأنبار⁽⁹⁰⁾ ، وهو على ما يبدو نهر قديم اندرس نتيجة الإهمال ، وبذلك وفرّ هذا النهر المياه لري الأراضي الزراعية واستثمار فلاحي المنطقة لها .

ثانياً : في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حتى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك

كانت إسهامات مصعب بن الزبير في مجالات الري إبان ولايته على العراق لأخيه عبد الله بن الزبير محدودة ، لاضطراب أحوال العراق ، إذ يذكر المدائني : ((قدم مصعب البصرة وماء البطيحة يفيض على السباخ ، حتى كاد يصير في نهر معقل ، فاتخذ المسناة التي نسبت إليه ، وحاز تلك الأرضين لنفسه ، فأقطعها عبد الملك الناس فحفروا الأنهار ، فهي اليوم قطائع عبد الملك))⁽⁹¹⁾ .

وشهد العراق في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥ - ٩٥ هـ / ٦٩٤ - ٧١٣ م) ، إبان خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، حركة نشطة وواسعة ، أنجز خلالها الكثير من مشاريع الري المختلفة ، فقد حفر الحجاج عدة أنهار كبيرة ، قال البلاذري⁽⁹²⁾ : ((وكان الحجاج قبل اتخاذه واسط أراد نزول الصين⁽⁹³⁾ من كسكر⁽⁹⁴⁾ ، فحفر نهر الصين وجمع له الفعلة ثم بدا له ، فأحدث واسطاً فنزلها واحترق النيل والزايي ... وأحيا ما على هذين النهرين من الأرضين ، وأحدث المدينة التي تعرف بالنيل ومصرها)) . ويبدو أن أول هذه الأنهار التي حفرها الحجاج نهر (الصين) ، قد ضعفت أهميته الاقتصادية ، لتحول الحجاج إلى مدينته الجديدة واسط التي اتخذها مقراً لولاية العراق⁽⁹⁵⁾ .

أما النهر الثاني الذي حفره الحجاج ، فهو نهر الزايي ، وسمي النهر بهذا الاسم لأخذه من الزايي القديم⁽⁹⁶⁾ ، ويقع هذا النهر فوق مدينة واسط ، ويتجه نحو الجنوب الشرقي حتى

يصب في الجهة اليمنى لنهر دجلة جنوبي مدينة واسط⁽⁹⁷⁾ ، ويهدف الحجاج من وراء حفر هذا النهر توفير المياه لري الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة واسط واستثمارها .

وحفر الحجاج نهراً ثالثاً مهماً وهو نهر النيل ، الذي يأخذ مياهه من الضفة اليسرى لنهر الفرات ، ويتجه شرقاً حتى يتفرع إلى فرعين : الشمالي ، ويسمى : الزاب الأعلى ، ويصب في نهر دجلة جنوب مدينة النعمانية ، وأما الفرع الثاني فهو نهر (سابس) ، الذي يصب في نهر دجلة أيضاً جنوبي قرية سابس بفرسخ⁽⁹⁸⁾ ، وسمى الحجاج هذا النهر بالنيل تيمناً بنيل مصر ، ونجح هذا النهر باستصلاح مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وعمرها ، فأسكن فيها الحجاج أناساً كثيرين ، وبنى عليه مدينة سماها (النيل)⁽⁹⁹⁾ ، تشمل على عدة قرى عامرة ، امتدت على طول هذا النهر⁽¹⁰⁰⁾ .

وتمكن الحجاج كذلك من إعادة تأهيل نهر صراة جاماسب وحفره ، والتي تقع على يسار نهر النيل ، وتستمد ماءها من الفرات⁽¹⁰¹⁾ .

ونجح الحجاج في إكمال حفر نهر في منطقة الأنبار ، لم يتمكن سعد بن عمرو بن حرام من إكماله في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لطبيعة أرضه الصخرية وتكاليفه الباهضة ، ومع ذلك صمم الحجاج على إنجازه ، فقال للقائمين على حفره : ((انظروا إلى قيمة ما يأكل كل رجل من الحفارين في اليوم ، فإن كان وزنه مثل وزن ما يقلع فلا تمتنعوا من الحفر ، فأنفقوا عليه حتى استتموه))⁽¹⁰²⁾ .

وأما بالنسبة إلى الأنهار الصغيرة ، فقد أوردت المصادر معلومات مختصرة عنها ، وهي عبارة عن أنهار حُفرت بجهود شخصية في قطائع منحها الخليفة عبد الملك بن مروان لعدد من وجهاء أهل العراق ، منها : نهر مكحول⁽¹⁰³⁾ ، ونهر العلاء⁽¹⁰⁴⁾ ، ومنح الحجاج بعض مؤيديه قطائع استثمروها بحفر أنهار لها ، منها : نهر بشار⁽¹⁰⁵⁾ .

وفضلاً عن حفر الأنهار قام الحجاج بحفر الكثير من الآبار والصحاريح ، وشجع الناس على ذلك ، فقد أقام عدة صحاريح في منطقة البصرة ، لخزن مياه الأمطار والإفادة منها وقت الحاجة ((وكان الولاة والأشراف بالبصرة [لا] يستعذبون الماء من دجلة ويحتفرون الصحاريح ، وكان للحجاج بها صحاريح معروف يجتمع فيه ماء المطر))⁽¹⁰⁶⁾ ، وحفر الحجاج الكثير من الآبار بين البصرة ومكة فُعمّرَ هذا الطريق⁽¹⁰⁷⁾ ، وكان يستفاد من هذه الآبار بالدرجة الأولى لشرب الإنسان والحيوان وزراعة بعض المحاصيل والأشجار ، لتكون واحات زراعية ومستقرات بشرية ، ومحطات استراحة للحجاج والتجار .

ومن جهة أخرى اعتنى الحجاج بإقامة الجسور وبنائها ، إذ أورد المدائني : ((أن الحجاج قدم العراق وليس على أنهارهم جسور ، فأخذهم باتخاذها إلى أراضيهم))⁽¹⁰⁸⁾ .

والحقيقة أن الجسور كانت موجودة قبل تسنم الحجاج ولاية العراق ، بدليل تردد ذكرها كثيراً في البصرة في أحداث سنة (٦٥ هـ / ٦٨٤ م) مثلاً⁽¹⁰⁹⁾ ، ويبدو أن المقصود من هذا النص أن الحجاج قام بإصلاح الجسور القديمة ، وإعادة الحياة إليها ، وبنى جسوراً وقناطر جديدة على الأنهار الصغيرة وفروعها ، وأشرك الفلاحين في بناء هذه الجسور ودفع بعض تكاليفها ، فضلاً عن حراستها ، ويؤكد ذلك ما أورده الطبري⁽¹¹⁰⁾ بقوله : ((فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق والحرث والدلالة ، مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم)) ، لذلك نلاحظ كثرة تردد ذكر الجسور في أخبار الحجاج أثناء قتاله الخوارج مثلاً⁽¹¹¹⁾ .

وعُرف عن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م) عنايته الفائقة بإقامة مشاريع الري المختلفة والتشجيع عليها ، ولا سيما الآبار ، فقد كتب الخليفة إلى عماله في ولايات الدولة العربية الإسلامية كافة تسهيل الثنايا وحفر الآبار ، وإصلاح الطرق وأعمالها⁽¹¹²⁾ .

وحظيت منطقة الطائح بعناية واضحة من الخليفة الوليد من أجل تنظيم مياهها واستصلاح أراضيها ، وكان للأمير مسلمة بن عبد الملك دور متميز في ذلك ، فقد ((انبثقت البثوق أيام الحجاج ، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم ، فاستكثرها الوليد ، فقال له مسلمة بن عبد الملك : أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء ، بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج ، فأجابه إلى ذلك ، فحصلت له أرضون من طاساسيج⁽¹¹³⁾ متصلة ، فحفر السيبين⁽¹¹⁴⁾ ، وتآلف الأكرة والمزارعين وعمر تلك الأرضين))⁽¹¹⁵⁾ .

وأنجزت كذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك عدة مشاريع إروائية مهمة في إقليم الجزيرة الفراتية ، منها : نهر سعيد ، ونهر مسلمة ، ومشروع حصن مسلمة⁽¹¹⁶⁾ ، إلا أنها تقع خارج الحدود الجغرافية لبحثنا .

وشجع الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧١٩ م) كثيراً إنشاء مشاريع الري المختلفة وتطويرها ، ومنها الأنهار والآبار ، وأهم الأنهار التي حفرت في عهده نهر عدي في البصرة ، الذي حفره والي البصرة عدي بن أرطاة الفزاري ، استجابة لشكوى أهل البصرة وحاجتهم الماسة له ، وكان هذا النهر ((خوراً من نهر البصرة حتى فتقه عدي بن أرطاة الفزاري من بثق شيرين))⁽¹¹⁷⁾ .

ورفض الخليفة عمر بن عبد العزيز تقسيم نفقات حفر هذا النهر على أهل البصرة المستفيدين منه ، حينما طلب ذلك واليه منه ، وجعل النفقة كلها على عاتق بيت المال⁽¹¹⁸⁾ ، وهو مما يؤكد دور الدولة ومسئوليتها في حفر الأنهار في العراق إبان العصر الأموي ،

وحين تم إكمال حفر هذا النهر كتب عدي بن أرطاة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز : ((إني احتقرت لأهل البصرة نهراً عذب مشربهم وجادت عليه أموالهم))⁽¹¹⁹⁾ .

وبذلك فقد وفر هذا النهر الماء الصالح للشرب لأهل البصرة ، فضلاً عن ري الأراضي الزراعية المجاورة للنهر واستثمارها ، مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية حوله . وفي مجال حفر الآبار شجع الخليفة عمر بن عبد العزيز ذلك كثيراً ، ولاسيما في البصرة ، فيروي المبرد عن أحد وجهاء أهل البصرة قوله : ((قال عدي بن الفضيل خرجت إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحفه بئراً بالعالية — على ليلتين من البصرة — فأحفرني واشترط عليّ أن أول شارب ابن السبيل))⁽¹²⁰⁾ .

لذلك أقبل الناس بمختلف طبقاتهم على حفر الآبار ، ولاسيما على طول الطريق الذي يربط بين البصرة ومكة ، بهدف تعمير هذا الطريق ، وتوفير مياه الشرب للإنسان والحيوان ، مما دعا الخليفة أن يرسل كتبه إلى ولاته على الأقاليم موجهاً إياهم بمساعدة من يرغب بحفر الآبار ، فقد أورد ابن زنجويه⁽¹²¹⁾ : أن رجلاً من أهل البصرة خرج إلى عمر بن عبد العزيز فطلب أن يحفره بئراً في الخرنق — على مسيرة ثلاث ليالٍ من البصرة — فكتب إلى عدي بن أرطاة : أتاني رجل من بني تميم فاستحفرني بالخرنق ((فإذا أتاك فأحفره وأحفر من جاءك من أسود أو أبيض واشترط ... أن ابن السبيل أول ريّان)) .

وشجع الخليفة عمر بن عبد العزيز استصلاح أراضي البطائح واستثمارها عن طريق شق الأنهر والقنوات ، وإقامة المسنّيات وتقوية السداد ، مؤكداً على تملكها لمن يحييها ، إذ كتب إلى أحد عماله : ((من غلب الماء على شيء فهو له))⁽¹²²⁾ ، وزاد قائلاً لهذا العامل : ((أن أجر لهم ما أحيوا ببنيان أو حرث))⁽¹²³⁾ .

واستمرت عمليات إقامة مشاريع الري في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ — ١٢٥ هـ / ٧١٧ — ٧٢٣ م) ، وأهم هذه المشاريع هو حفر نهر المرغاب ، الذي يُعدُّ من أشهر الأنهار الصغيرة المتفرعة من نهر معقل⁽¹²⁴⁾ ، لإرواء الأراضي الزراعية القريبة منه ، وهو يسقي قطيعة لهلال بن أحوز المازني ، أقطعه إياها الخليفة يزيد بن عبد الملك ومساحتها (ثمانية آلاف) جريب من الموات ، لم يتمكن هلال من إحيائها ، فحفر بشير بن عبد الله بن أبي بكر فيها نهراً سماه (مرغاب مرو)⁽¹²⁵⁾ ، فتمكن من استثمارها والإفادة منها ، وهناك رواية ثانية تجعل مساحة هذه القطيعة (ثمانية عشر) ألف جريب⁽¹²⁶⁾ .

وحفر في هذه المدة نهر مهلبان ، وهو قطيعة من الخليفة يزيد بن عبد الملك لعمر بن هبيرة ومساحتها (ألف وخمسمائة) جريب⁽¹²⁷⁾ ، ونهر عباسان ، وحفر في قطيعة أقطعها الخليفة إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك فحفر نهراً⁽¹²⁸⁾ .

وفي منطقة الكوفة ، قام عامل العراق عمر بن هبيرة (١٠٢ - ١٠٥ هـ / ٧٢٠ - ٧٢٣ م) بإصلاح قنطرة الكوفة ((وكان عمر بن هبيرة بن معية الفزاري أيام ولايته للعراق أحدث قنطرة الكوفة ، ثم أصلحها خالد بن عبد الله القسري واستوثق منها))⁽¹²⁹⁾ ، ولا بد أنها كانت تهدف إلى تنظيم المياه وري الأراضي الزراعية في منطقة الكوفة .

ثالثاً: من عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وحتى نهاية الدولة الأموية

وأبدى الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٣ - ٧٤٢ م) وولاته رغبة شديدة ومقدرة فائقة في إنشاء مشاريع الري المختلفة في أنحاء العراق ، ولاسيما حفر الأنهار ، وأول هذه المشاريع هو حفر نهر المبارك ، الذي حفره والي العراق خالد بن عبد الله القسري ، ويقع هذا النهر شمال نهر الصلح بفرسخين ، ويأخذ مياهه من الضفة الشرقية لدجلة عند قرية المبارك ، ويجري جنوباً حتى يصب في البطائح⁽¹³⁰⁾ . وقد بلغت كلفة حفره (اثني عشر) مليون درهم⁽¹³¹⁾ .

ويبدو أن نهر المبارك هذا صار يروي مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في السواد بين واسط والبصرة ، فاستبشر الناس فيه خيراً ، مما دعا الشاعر الفرزدق إلى مدح هذا العمل بقوله :

أَعْطَى خَلِيفَتَهُ بِقُوَّةِ خَالِدٍ نَهْرًا يَفِيضُ لَهُ عَلَى الْأَنْهَارِ
إِنَّ الْمُبَارَكَ كَاسِمِهِ يُسْقَى بِهِ حَرْتُ السَّوَادِ وَنَاعِمُ الْجَبَّارِ⁽¹³²⁾

واستكمالاً لعمل هذا النهر وتنظيم عملية الري في هذه المنطقة ، كتب خالد القسري إلى الخليفة هشام : ((يستأذنه في عمل قنطرة على دجلة ، فكتب إليه هشام : إن كنت متيقناً أنها تتم فاعملها ، فعملها وأعظم النفقة عليها))⁽¹³³⁾ ، ويروى عن الأصمعي قوله : ((إن خالد القسري أحكم جسر دجلة واستقام له نهر المبارك))⁽¹³⁴⁾ .

إلا أنه وبعد مدة وجيزة خربت هذه القنطرة ، وتخرّب معها نهر المبارك بسبب شدة فيضان نهر دجلة ((فلم يلبث أن قطعها الماء ، فأغرّمه هشام ما كان أنفقه عليها))⁽¹³⁵⁾ ، وحاول خالد القسري ثانية إصلاح هذه القنطرة من دون جدوى ((... وأنفق الأموال فسفت دجلة ذلك البنيان))⁽¹³⁶⁾ ، ففشل نهر المبارك في تحقيق أهدافه ، فلام الخليفة هشام خالدًا وابنه ، وكتب إليه : ((والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين))⁽¹³⁷⁾ ، وقد أثار هذا الفشل حفيظة الشاعر الفرزدق ، فلام خالد القسري قائلاً :

أَهْلَكْتَ مَالَ اللَّهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ عَلَى النَّهْرِ الْمَشْؤُومِ غَيْرِ الْمُبَارَكِ⁽¹³⁸⁾

ثم وصف الفرزدق النهر بعد ذلك بقوله :

كَأَنَّكَ بِالْمَبَارِكِ بَعْدَ شَهْرٍ تَخُوضُ غُمُورَهُ بُقْعُ الْكِلَابِ⁽¹³⁹⁾

وحفر الخليفة هشام بن عبد الملك نهراً مهماً آخر ، وهو نهر فم الصلح في منطقة واسط ، ويقع شمالي مدينة واسط بنحو سبعة فراسخ⁽¹⁴⁰⁾ ، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى مدينة فم الصلح ، ويستمد هذا النهر مياهه من الضفة الشرقية لنهر دجلة ، فيسير باتجاه الجنوب حتى يصب في البطائح ، ويبدو أن هذا النهر أدى إلى استثمار الأراضي الزراعية التي يمر بها ، وإنه ظل يعمل لحقب طويلة لاحقة ، إذ يذكره ياقوت بقوله : ((وهو نهر كبير ... عليه عدة قرى))⁽¹⁴¹⁾.

وقام خالد القسري كذلك بحفر أنهار أخرى ، وهي على ما يبدو أنهار صغيرة حفرها في ضياع له ، بهدف استثمارها ، فدرت عليه أرباحاً طائلة ، منها : نهر خالد ، ونهر باجوا ، ونهر بارمانا ، ونهر الجامع ، ونهر لوبة ، ونهر سابور⁽¹⁴²⁾ ، إلا أن المصادر لا تمدنا بمعلومات وافية عن هذه الأنهار .

وفي منطقة البصرة ، حفر أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي ، عامل يوسف بن عمر الثقفي على البصرة ، نهراً سمي بنهر كثير⁽¹⁴³⁾ ، وكذلك ((فتق بلال بن أبي بردة نهر معقل في فيض البصرة ...))⁽¹⁴⁴⁾ ، ولعل هذا النهر الذي يربط نهر معقل بالفيض هو نهر بلال⁽¹⁴⁵⁾ .

ونالت منطقة الموصل عناية متميزة في خلافة هشام بن عبد الملك ، إذ كان قد سكن الموصل قبل أن يؤلّى الخلافة ، فاستثمر بعض أراضيها الزراعية⁽¹⁴⁶⁾ ، ثم زادت عنايته بالموصل حينما صار خليفة .

ومن أكبر مشاريع الري المنجزة في الموصل في عصر الخليفة هشام بن عبد الملك وأهمها حفر النهر المكشوف ، إذ بدأ والي الموصل الحر بن يوسف الثقفي (١٠٦ – ١١٢ هـ / ٧٢٤ – ٧٣٠ م) ، بحفر هذا النهر سنة (١٠٧ هـ / ٧٢٥ م) ، ويأخذ هذا النهر ماءه من دجلة ويجري إلى الموصل ، وقد أورد الأزدي مفصلاً قصة حفره ، مؤكداً أن السبب المهم لحفره هو الحاجة الماسة لإيصال ماء الشرب إلى أهل الموصل⁽¹⁴⁷⁾ ، ويبدو أن هذا السبب لم يكن كافياً لمشروع يمثل هذه التكاليف الباهضة ، فضلاً عن طول مدة إنجازه .

وحينما أراد الحر بن يوسف الثقفي حفر هذا النهر جمع المهندسين والمختصين ، فأخبروه بضخامة المصروفات والجهد الكبير والوقت الطويل ، فعزم على إنجازه ، فأوقف الخليفة هشام خراج الموصل على هذا النهر ، وكان دائم التتبع لحفره ويلح باستمرار ويتعجل الحر بإنجازه ، إلا أن الحر توفي سنة (١١٢ هـ / ٧٣٠ م) من دون أن يستطيع إتمامه ، ولم يستطع ابنه يحيى الذي خلفه من إنجازه أيضاً ، فولى الخليفة هشام الوليد بن تليد العبسي

الذي جدّ في حفره حتى أنجزه سنة (١٢١ هـ / ٧٣٨ م)⁽¹⁴⁸⁾ ، وقد بلغ ما أنفق لحفر هذا النهر (ثمانية) ملايين درهم⁽¹⁴⁹⁾ .

وأدى هذا النهر إلى إحياء الأراضي الممتدة على طوله ، وذلك بغرس مختلف الأشجار ، فضلاً عن الرياحين والورود⁽¹⁵⁰⁾ .

ومن الممكن إحياء هذا النهر في الوقت الحاضر وإجراء الماء فيه ، والإفادة منه في ري الأراضي الزراعية المجاورة له سيحاً ، لأن مستوى ماء نهر دجلة أعلى من مستوى هذه الأراضي⁽¹⁵¹⁾ .

واستمرت عمليات حفر الأنهار الصغيرة التي قام بها العديد من الأشخاص المتنقلين في قطائع خاصة بهم⁽¹⁵²⁾ .

ومن الجدير بالذكر أن ما يؤكد كثرة مشاريع الري المنجزة في العراق خلال العصر الأموي ما أوردته المصادر عن عدد أنهار منطقة البصرة ، فقد عدت في ولاية بلال بن أبي بردة (١١٠ هـ – ٧٢٨ م) ، وهو عامل خالد القسري على البصرة (١٢,٠٠٠) مائة وعشرين ألفاً ، تجري الزوارق في أكثرها⁽¹⁵³⁾ .

ويقول ياقوت عن أنهار البصرة : ((واعلم أن الأنهار كثيرة لا تحصى ، وأنا ذكرنا منها ما لا يعرف إلا بذكر النهر بمحلة أو قرية أو مدينة ، أو ما شابه ذلك))⁽¹⁵⁴⁾ ، أما الجغرافي الاضطخري فكان لا يصدق ما قيل عن كثرة أنهار البصرة حتى زارها ، ورأى أنهارها الكثيرة ، فأخذ يصدق ما قيل عن عددها في عهد بلال بن أبي بردة⁽¹⁵⁵⁾ .

والواقع أن أكثر هذه الأنهار عبارة عن أنهار قصيرة وسواقٍ حفرت في أراضٍ منبسطة ، تأخذ مياهها من الأنهار الرئيسية ، وتسفيد من ظاهرة المد والجزر اليومية التي تحدث في دجلة العوراء ، ومع ذلك فالمبالغة تبدو في هذا الرقم واضحة ، إلا أنه يعبر بشكل واضح عن الجهود الكبيرة التي بذلها الخلفاء والولاة وعامة الناس لحفر الآبار ، وعن سعة الأراضي الزراعية المستصلحة .

وبعد نهاية خلافة هشام بن عبد الملك ظهرت بوضوح قلة مشاريع الري المنجزة في العراق ، وذلك بسبب الاضطرابات السياسية وعدم استقرار أحوال الدولة ، فضلاً عن أن حفر الآبار صار يشكل في بعض الأحيان عبئاً ثقيلاً على الناس ، مما دعا الخلفاء والولاة أن يعدوا الناس بعدم تكليفهم بحفر الأنهار ، فقد خطب الخليفة يزيد بن الوليد (١٢٦ – ١٢٧ هـ / ٧٤٣ – ٧٤٤ م) قائلاً : ((أيها الناس : إن لكم ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبنة على لبنة ، ولا أكري فيكم نهراً))⁽¹⁵⁶⁾ .

ومع ذلك فقد قام والي البصرة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بحفر نهر سمي نهر ابن عمر ، حينما شكوا أهل البصرة إلى واليهم شدة ملوحة مائهم ، فكتب الوالي بذلك إلى الخليفة يزيد بن الوليد ، فتأثر كثيراً بحال أهل البصرة ، فكتب الخليفة إليه : ((إن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق [و] ما كان في أيدينا فأنفقه عليه))⁽¹⁵⁷⁾ ، وقدرت كلفة حفر هذا النهر أكثر من (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف درهم⁽¹⁵⁸⁾ ، وهو مبلغ ليس بالقليل ، مما يؤكد أهمية دور الدولة في هذا المجال .

أما آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد (١٢٦ - ١٣٢ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٩ م) فقد اعتنى بمدينة الموصل كثيراً ، فجعلها قاعدة إقليم الجزيرة الفراتية ، ونصب فيها على نهر دجلة جسراً من السفن ، يربط غربي المدينة بجانبها الشرقي⁽¹⁵⁹⁾ ، إذ القرى والمروج والأراضي الزراعية ، لخدمة المزارعين ولتسهيل نقل الإنتاج الزراعي إلى الأسواق ، ولعل اضطراب أحوال الدولة سياسياً وعسكرياً لم تسعف الخليفة مروان بن محمد في إنجاز مشاريع إروائية مهمة في العراق .

الخاتمة

وبعد الانتهاء من كتابة هذا البحث نسجل أهم الاستنتاجات الآتية :

- ١ . يُعد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من اعتنى بتنظيم المياه وإقامة مشاريع الري في العراق في عصر صدر الإسلام .
- ٢ . توسع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في إقامة مشاريع ري مختلفة ، وشجع الناس عليها ، لأنه انتهج سياسة زراعية جديدة مبنية على أساس التوسع في الاستثمار وعدم تعطيل الأرض .
- ٣ . يُعد العصر الأموي امتدادًا واستمرارًا للعصر الراشدي ، إذ استفاد الأمويون من مشاريع الري المنجزة في العصر الراشدي ، فطوروها وزادوا عليها الكثير .
- ٤ . شهدت منطقة البصرة أوسع حركة لحفر الأنهار امتدت منذ العصر الراشدي وحتى نهاية العصر الأموي ، ويلحظ تركزها غرب دجلة العوراء ، وكان لزياد بن أبي سفيان دور بارز ومتميز في ذلك ، إثناء ولايته للبصرة إبان خلافة معاوية ، وكذلك كانت لعبد الله بن عامر إنجازات متميزة في هذا المجال .
- ٥ . بعد بناء مدينة واسط ، توسعت وامتدت عمليات حفر الأنهار لتشمل منطقة واسط والكوفة وعلى امتداد نهري دجلة والفرات ، وكان للحجاج دور مهم في ذلك .
- ٦ . بعد خلافة الوليد بن عبد الملك ، استمر الخلفاء الأمويون وولاتهم في العراق في إنجاز الكثير من مشاريع الري المختلفة وشجعوا الناس على ذلك .
- ٧ . برز اهتمامات الخليفة هشام بن عبد الملك الواسعة بإقامة مشاريع الري في مختلف أرجاء العراق ، حتى بلغت أعداد الأنهار في عصره أرقامًا كبيرة جدًا .
- ٨ . كانت مشاريع الري الكبيرة تحت إشراف الدولة ، وهي التي تنفق عليها ، حتى بلغت تكاليفها أموالاً طائلة ، أما المشاريع الصغيرة فقد أنجزها أشخاص من المتنفذين حفرت في قطائع منحت لهم .
- ٩ . أثبت العرب المسلمون أنهم لم يكونوا أمة جهاد فحسب ، بل أمة بناء وتقدم وحضارة ، فقد استثمروا كل أرض استقروا فيها .
- ١٠ . أدت هذه المشاريع إلى زيادة مساحة الأراضي المستصلحة والمستثمرة ، وزادت موارد جديدة لبيت المال ، أسهمت بشكل واضح في ازدهار الحياة الاقتصادية في العراق .

الهوامش

- (1) سورة الأنبياء ، آية ٣٠ .
- (2) البطائح : جمع بطيحة ، وهي أراضٍ واسعة مغطاة بالمياه الراكدة تقع جنوبي أرض السواد ، قدرت مساحتها بخمسين فرسخاً طويلاً في مثلها عرضاً . المسعودي ، أبو الحسن بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مط السعادة ، ط ٢ ، (مصر — ١٩٤٨ م) ، ج ١ ، ص ٢٢٦ . أما لسترايخ ، فيرى أن طولها مائتا ميل وعرضها خمسون ميلاً . بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مط الرابطة ، (بغداد — ١٩٥٤ م) ، ص ٤٣ .
- (3) للتفصيل ينظر : البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، باعتناء : رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط ١ ، (مصر — ١٩٣٢ م) ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ ؛ قدامة ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : د . محمد حسين الزبيدي ، مط . دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، (بغداد — ١٩٨١ م) ، ص ١٦٨ — ١٦٩ ، ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت — ١٩٥٥ م) ، م ١ ، ص ٤٥٠ .
- (4) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ .
- (5) المسنيات ، جمع مفردة : مسناة ، وهي : السود الصغيرة التي تبني في وجه الماء . أبو يوسف ، الخراج ، ص ١١٠ .
- (6) ابن زنجويه ، حميد بن زنجويه ، الأموال ، ط ١ ، (الرياض — ١٩٨٦ م) ، ج ١ ، ص ١٩١ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٨ .
- (7) أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ، الخراج ، المطبعة السلفية ، ط ٢ ، (القاهرة — ١٣٥٢ هـ) ، ص ٩٧ .
- (8) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٢٦٨ ، ٣٤١ .
- (9) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٤٨ .
- (10) حذيفة بن اليمان : صحابي جليل كان صاحب سر الرسول محمد ﷺ ، سكن الكوفة ، وولاه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مساحة السواد ، واستعمله على المدائن ، توفي سنة ٣٦ هـ . ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دار صادر ، ط ١ ، (حيدر آباد — ١٣٢٦ هـ) ، م ٢ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ ؛ الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، دار الجيل ، ط ١ ، (بيروت — ١٩٩٢ م) ، ج ٢ ، ص ٤٤ .
- (11) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧١ .
- (12) جزء بن معاوية التميمي : وهو عامل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على الأحواز ، وقيل : له صحبه ، وولي لزياد بن أبي سفيان بعض عمله . ابن حجر ، الإصابة ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .
- (13) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٣ ، (القاهرة — ١٩٦٦ م) ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

- (14) الاضطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر ، ومحمد شفيق ، بلا . ط ، (القاهرة - ١٩٦١ م) ، ص ٥٦ - ٥٧ ؛ ينظر : ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد ، مختصر كتاب البلدان ، ط . دي غويه ، (ليدن - ١٨٨٥ م) ، ص ١٨٩ .
- (15) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ ؛ البكري ، أبو عبيد عبد الله ، المسالك والممالك ، تحقيق : اوريان فان ليونن واندري طيري ، بيت الحكمة ، بلا . ت ، (قرطاج ، تونس) ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .
- (16) الاضطخري ، المسالك ، ص ٥٧ ؛ ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل ، صورة الأرض ، ط ٢ ، (ليدن ، ١٩٣٨ - ١٩٣٩ م) ، ص ٢٣٩ .
- (17) يقول المقدسي : ((وليس بالعراق ماء إلا بالدواليب والسواقي غير أرض البصرة ، فإن المد يسقيها)) . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، باعنتاء : دي غويه ، ط ٢ ، مط . (بريل ، ليدن - ١٩٠٦ م) ، ص ١٣ . ويقول ياقوت : ((... فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتد عند استغنائهم عنه ، ثم لا يبطن عنها إلا بقدر هضمها واستمراثها ... يجيء على حساب معلوم وتدبير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة)) . معجم البلدان ، م ١ ، ص ٤٣٩ . وينظر أيضاً : الاضطخري ، المسالك ، ص ٥٧ ؛ ابن حوقل ، صورة ، ص ٢٣٧ .
- (18) الحربي ، إبراهيم بن إسحاق ، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة ، بلا ، ط ، (الرياض - ١٩٦٩ م) ، ص ٥٧٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٥ .
- (19) سهراب ، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة ، مط . ادولف هولز هوزن ، (فينا - ١٩٢٩ م) ، ص ١٣٦ .
- (20) الأحنف بن قيس : كنيته أبو بحر ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين ، سكن البصرة ، وعدّ من ساداتها ، له فتوحات كثيرة في خراسان ، توفي في عهد مصعب بن الزبير في الكوفة . ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، صفوة الصفوة ، ط ٢ ، تحقيق : محمود فاخوري ، والدكتور محمد رواس قلجعي ، دار المعرفة ، (بيروت - ١٩٧٩ م) ، ج ٣ ، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .
- (21) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٢ ؛ ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٨٩ .
- (22) الفرسخ : وحدة قياس إسلامية للأطوال تساوي في الوقت الحاضر (٦ كم) . هنتس ، فالتر ، المكابيل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة " د . كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، (عمان - ١٩٧٠ م) ، ص ٩٤ .
- (23) بنق الحيري : نهر صغير نسب إلى نبطي من أهل الحيرة ، ويقال : كان مولى لزيد بن أبي سفيان . البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ .
- (24) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ ؛ ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- (25) ابن حوقل ، صورة ، ص ٢٣٦ .
- (26) أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ، تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، (باريس - ١٨٤٠ م) ، ص ٥٧ .
- (27) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٣ . ويورد البلاذري رواية ثانية تذكر أن هذا النهر (معقل) حفر في زمن ولاية زياد بن أبي سفيان للبصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان . فتوح ، ص ٣٥٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

- (28) معقل بن يسار المزني : صحابي جليل أسلم قبل الحديبية ، شهد بيعة الرضوان ، نزل البصرة ، وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان . ابن حجر ، الإصابة ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ .
- (29) أبو الفدا ، تقويم ، ص ٥٦ - ٥٧ .
- (30) ابن حوقل ، صورة ، ص ٢٣٧ ؛ ينظر : الاضطخري ، المسالك ، ص ٥٧ .
- (31) الكاتب ، د . محمد طارق ، شط العرب وشط البصرة والتاريخ ، ط ١ ، (البصرة - ١٩٧١ م) ، ص ٣٥ .
- (32) أبو الفدا ، تقويم ، ص ٥٧ .
- (33) الاضطخري ، المسالك ، ص ٥٧ ؛ ابن حوقل ، صورة ، ص ٢٣٧ ؛ المقدسي ، أحسن ، ص ١١٧ .
- (34) ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٨٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٤٣٢ ؛ أبو الفدا ، تقويم ، ص ٥٧ .
- (35) سعد بن عمرو بن حرام : صحابي جليل ، شهد معركة أحد ، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب ؑ ، له عقب في الكوفة . ابن حجر ، الإصابة ، ج ١ ، ص ٥٨٧ .
- (36) ولعل الجبل المذكور هو الجبل نفسه الذي يسميه الأهلون اليوم جبل سعده ، وهو يقع غربي بحيرة الحبانية في جوار طريق الرحالية - الرمادي . سوسه ، د . أحمد ، وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية ، مط . الحكومة ، بلا . ط . (بغداد - ١٩٤٤ م) ، ج ١ ، ص ٣٤ .
- (37) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٧٣ .
- (38) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة فتحها خالد بن الوليد في خلافة عمر بن الخطاب ؑ صلحاً وذلك في سنة ١٢ أو ١٣ هـ . ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
- (39) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٥٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٤٠ .
- (40) ابن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، (النجف - ١٩٦٧ م) ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- (41) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ .
- (42) عبد الرحمن بن أبي بكرة : وهو أول مولود ولد في البصرة بعد تمصيرها ، له اهتمامات واسعة بحفر الأنهار والزراعة ، كان أبوه أبو بكرة من أوائل من نزل البصرة وأول من غرس النخل فيها ... البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ ؛ ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٨٨ ؛ العلي ، د . صالح أحمد ، خطط البصرة ومنطقتها ، مط . المجمع العلمي العراقي ، (بغداد - ١٩٨٦ م) ، ص ٤٥ .
- (43) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥١ .
- (44) ابن خياط ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
- (45) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٢ ؛ ينظر : ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٨٥ .
- (46) عبد الله بن عامر : صحابي جليل ولد بمكة بعد الهجرة بأربع سنوات ، وجيء به إلى الرسول ﷺ فقال فيه : ((هذا ابننا وهو أشبهكم بنا ، وهو مسقى ، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له فيها الماء ، وله آثار كثيرة في ذلك . الزبير ، أبو عبد الله المصعب ، نسب قريش ، نشر : ليفي بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بلا . ط . (القاهرة - ١٩٥٣ م) ، ص ٤٨ ؛ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف ، ط ١ ، (مصر - ١٩٣٤ م) ، ص ١٤٠ .

- (47) ابن سعد ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت - ١٩٥٧ م) ، م ٥ ، ص ٤٠ .
- (48) الجريب : وحدة مساحة تساوي (١٥٩٢ م^٢) ، هنتس ، المكايل ، ص ٩٦ .
- (49) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٤٣٥ .
- (50) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٤٠ ، ٢٤٦ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣١٧ .
- (51) ابن خياط ، ج ١ ، ص ١٤٣ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ ؛ العلي ، خطط ، ص ١٦٦ .
- (52) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٤٠ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ .
- (53) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ .
- (54) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٣ . وفي رواية أخرى للبلاذري يذكر فيها أن زياد بن أبي سفيان هو الذي حفر نهر مره . فتوح ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- (55) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٠ .
- (56) معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٥٦ ؛ المشترك وضعاً والمفترق صقلاً ، باعتناء : وستفالد ، جوتنتكين - ١٨٤٦ م ، ص ٤١٤ .
- (57) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٤٠ ؛ الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن عبد الله بلهيد ، مط . السعادة ، (مصر - ١٩٥٣ م) ، ص ١٣٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
- (58) أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق : بيفان ، مط . برييل ، (ليدن - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م) ، ج ١ ، ص ١٢٣ .
- (59) العبودي ، محمد بن ناصر ، الاسياح (النجاج قديماً) ، مجلة العرب ، ج ٧ ، ص ٨ ، الرياض - ١٩٥٥ م ، ص ٥٣٢ .
- (60) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١٤٠ .
- (61) الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٢٢ .
- (62) الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٩٩ .
- (63) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، (النجف - ١٩٦٤ م) ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .
- (64) ابن آدم ، يحيى بن آدم القرشي ، الخراج ، تصحيح وشرح : أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت - ١٩٧٩ م) ، ص ٦٣ .
- (65) المنذر بن الجارود العبدي : من سادات البصرة ووجهها كان جواداً ، ولاء الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام إسطخر ، ثم ولاء عبيد الله بن زياد ثغر الهند ، فمات هناك سنة ٦١ هـ أو ٦٢ هـ ، وهو ابن ستين سنة . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٧ ، ص ٨٦ .
- (66) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، العلي ، خطط ، ص ١٥٠ .
- (67) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٤ .

- (68) العلي ، خطط ، ص ١٥٠ .
- (69) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٠ .
- (70) أبو الفدا ، تقويم ، ص ٥٧ .
- (71) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
- (72) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٤٣٥ .
- (73) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣١٧ .
- (74) العلي ، خطط ، ص ١٧٠ .
- (75) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ .
- (76) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣١٩ .
- (77) الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٣٤ .
- (78) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٩ .
- (79) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (80) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٦ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٣ .
- (81) ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٩١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (82) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٩ .
- (83) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (84) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (85) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٤٣٦ .
- (86) ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٦٥ .
- (87) ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٩١ .
- (88) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٥ ؛ ينظر : ابن الفقيه ، مختصر ، ص ١٨٣ .
- (89) العباد : إحدى الفئات الرئيسية لسكان الحيرة قبل الإسلام ، وكان قسم منهم من عرب الجزيرة العربية ، اعتنق بعضهم المسيحية ، حتى أصبح اسمهم صفة تطلق على نصارى الحيرة ، وكانوا أكثر أهل الحيرة تحضرًا . الملاح ، د . هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل - ١٩٩٤ م) ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
- (90) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (91) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، طبع بإشراف مط . الجامعة ، (القدس - ١٩٣٦ م) ، ص ٢٨١ .
- (92) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٨٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٤٨ .
- (93) الصين : بليده تحت واسط ينسب إليها قوم من أهل العلم ، وربما سمي نهر الصين بهذا الاسم نسبة إلى موضعين في كسكرهما الصين الأعلى والصين الأسفل ، وربما إلى بلده تسمى الصينية تقع جنوب واسط . ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٨ ؛ المشترك ، ص ٢٨٩ .

- (94) كسكر : وهي ناحية واسعة تقع بين الكوفة والبصرة ، قصبته واسط القصب . ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٤٦١ .
- (95) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٨٨ .
- (96) يقول ياقوت : ((وبين بغداد وواسط ، زابان آخران أيضاً ، ويسميان الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ...)) م ٣ ، ص ١٢٤ ؛ المعاضيدي ، د . عبد القادر سلمان ، واسط في العصر الأموي ، دار الحرية للطباعة ، ط ١ ، (بغداد - ١٩٧٦ م) ، ص ٢٥ .
- (97) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٨٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٤٨ .
- (98) سهراب ، عجائب ، ص ١٢٥ ؛ ياقوت ، المشترك ، ص ٤٣٠ ؛ أبو الفدا ، تقويم ، ص ٥٣ .
- (99) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٨ ؛ ياقوت ، المشترك ، ص ٤٢٩ .
- (100) طه ، د . عبد الواحد نون ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ط ١ ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٥ م ، ص ١٩٤ .
- (101) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٤٠٠ ؛ أبي الفدا ، تقويم ، ص ٥٣ .
- (102) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .
- (103) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٤٢٤ .
- (104) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٥ .
- (105) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٥ .
- (106) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٣ .
- (107) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ١٦٣ .
- (108) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ، أنساب الأشراف ، مخطوطة (رقيقة) عن الأصل الموجود في المكتبة السلিমانيّة بإسطنبول تحت رقم (٥٩٨) ، نسخة الدكتور عبد الأمير دكسن ، ورقة (٦١٨ ب) .
- (109) الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٦١٦ ، ٦٢١ .
- (110) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٢ .
- (111) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ، مط . نهضة مصر ، (القاهرة - ١٩٥٦ م) ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ ، ٣١٠ ، ٣١١ .
- (112) الطبري ، تاريخ ، ج ٦ ، ص ٤٣٧ ؛ ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت - ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م) ، ج ٤ ، ص ٥٣٣ .
- (113) الطساسيج ، جمع مفردة : طسج ، وتعني : المنطقة الزراعية ، ابن منظور ، لسان ، م ٣ ، ص ١٦١ . وأحياناً تأتي بمعنى : الضريبة المفروضة على الأراضي التي فتحت عنوة . الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، مفاتيح العلوم ، نشرته : إدارة الطباعة المنيرية ، بلا . ط ، (القاهرة - ١٣٤٢ هـ) ، ص ٥٦ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ١٦٠ .
- (114) السيبين : هو كورة من سواد الكوفة ، وهما سيبان ، الأعلى والأسفل ، من طسوج سورا . ياقوت ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٢٩٣ .
- (115) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٩٢ .

- (116) للتفصيل ينظر : البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ، ص ١٥٦ ؛ سهراب ، عجائب ، ص ١٣٣ ؛ قدامة ، الخراج ، ص ٣٠٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ٣٢٨ ، م ٢ ، ص ٢٦٥ ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (117) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (118) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (119) المصدر نفسه ، م ٥ ، ص ٣٢١ .
- (120) المبرّد ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
- (121) ابن زنجويه ، الأموال ، ج ٢ ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ .
- (122) ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٢ ؛ أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، الأموال ، تحقيق وتعليق : محمد خليل هراس ، منشورات دار الفكر ، ط ١ ، القاهرة - ١٩٦٨ م ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ ، ابن زنجويه ، الأموال ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .
- (123) ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٢ .
- (124) الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٧٧ . ويذكر البلاذري في إحدى رواياته أن نهر المرغاب حفر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك . فتوح ، ص ٣٥٨ .
- (125) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١٠٨ .
- (126) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٨ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١٠٨ .
- (127) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .
- (128) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٢ .
- (129) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .
- (130) ابن سعد ، الطبقات ، م ٧ ، ص ٣١١ .
- (131) المبرّد ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .
- (132) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٩ .
- (133) البلاذري ، أنساب ، ج ٧ ، نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، تحت رقم (١٦٣٤) ، ورقة ٣٥ أ .
- (134) بدران ، الشيخ عبد القادر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، دار المسيرة ، ط ٢ ، بيروت (١٩٧٩ م) ، ج ٥ ، ص ٨١ - ٨٢ .
- (135) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٩ .
- (136) ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر ، الأعلام النفيسة ، مط . بريل ، (ليدن - ١٨٩١ م) ، ص ٩٦ .
- (137) المبرّد ، الكامل ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .
- (138) البلاذري ، أنساب ، ج ٧ ، ورقة ٣٥ أ .
- (139) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٩ .
- (140) أبو الفدا ، تقويم ، ص ٣٠٥ .
- (141) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٧٦ .

- (142) ابن بكار ، الزبير بن عبد الله ، الأخبار الموفقات ، تحقيق : د . سامي مكي العاني ، مط . العاني ، (بغداد — ١٩٧٢ م) ، ص ٢٨٩ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ١٥١ — ١٥٢ .
- (143) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٥٩ .
- (144) المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .
- (145) العلي ، خطط ، ص ١٥١ .
- (146) الأزدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد ، تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبه ، (القاهرة — ١٩٦٧ م) ، ص ١٣٩ .
- (147) الأزدي ، تاريخ ، ص ٣٧ .
- (148) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .
- (149) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٨٨ .
- (150) الديوجي ، سعيد ، نهر الحر ، بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، مط . الرشاد ، (بغداد — ١٩٨٩ م) ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .
- (151) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .
- (152) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٣ .
- (153) الاصطخري ، المسالك ، ص ٥٧ ؛ ابن حوقل ، صورة ، ص ٣٣٥ .
- (154) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣٢٤ .
- (155) الاصطخري ، المسالك ، ص ٥٧ .
- (156) مجهول ، العيون والحداثق في أخبار الحقائق ، ج ٣ ، نشر : دي غويه ، (ليدن — ١٨٦٩ م) ، ج ٣ ، ١٥٠ .
- (157) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣١٥ .
- (158) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٦٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٣١٥ .
- (159) ياقوت ، معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٦٨٣ . لسترانج ، بلدان ، ص ١١٥ .